الدولة الفاطمية ودور ابو عبدالله الشيعي

المدرس المساعد: اسراء جاسم حميد

asraajassem@uomustansiriyah.edu.iq

كانت الدولة الفاطمية تسمى رسميا في الوثائق الصادرة عن ديوان الانشاء (بالفاطميين) نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء (ع) والتي ينتسب الفاطميون اليها في حين اطلق عليهم مؤرخين اخرين تسمية الدولة العلوية نسبة الى مؤسس اسرتهم وهو الامام علي بن ابي طالب (ع) اذ يعد الامام علي (ع) الجد الشرعي لخلفائهم، اما ابن خلدون والقلقشندي فقد اطلقا عليها تسمية الدولة الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق وهو الامام السابع من السلسلة العلوية عند الاسماعيلية وسميت هذه الدولة ايضا بالسبعية نسبة الى الامام السابع من الائمة الظاهرين، اما ابن خلكان فيسميهم بالمصريين لانهم كانوا ملوك او خلفاء مصر او لاستقرارهم بها اخيرا.

وهنالك تسميات عديدة اطلقها عليهم اعداؤهم فسماهم أبا شامة تارة بالمجوس وتارة باليهود وتارة ثالثة بالباطنية اذ اتفق مع الذهبي في هذه التسمية.

ولكن تبقى تسمية الدولة العبيدية هي التسمية الشائعة في الكتابات التاريخية في بلاد المغرب وهي نسبة الى عبيد الله الملقب بالمهدي اول خليفة ظاهر لهم ومؤسس دولة الفواطم في بلاد المغرب ٢٩٧ هـ/٩٠٩م

الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب وقيام الدولة:

١. الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب قبل ابي عبد الله الشيعي:

كان التشيع قد انتشر في بلاد المغرب على ايدي الادارسة لذا فان بلاد المغرب كانت ارضا صالحة للدعوة الشيعية مما سهل على دعاة المذهب الاسماعيلي بعد ذلك من نشر الدعوة للمهدي من ال الامام علي (ع) ، ويذكر المؤرخون ان نجاح الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب على يد الداعي ابي عبد الله الشيعي لم يكن امرا مفاجئا وسريعا انما بذرت لهذه الدعوة بذورا بدأت تنبت هنالك منذ وقت مبكر فقد اجمع المؤرخون على ان داعيتين من المشرق الاسلامي هما إلحلوانى وابو سفيان قد توجها الى المغرب للتمهيد لهذه الدعوة ، وقد زود هذان الداعيان بالوصايا

المتمثلة باستمالة قلوب قبائل البربر مع مراعاة الحذر وان يتوجه كل منهما عند وصولهما الى المغرب الى ناحية غير مختلفة.

ويتضح مما تقدم ان السبب في توجه كل منهما الى منطقة غير الاخرى في المغرب هي امعانا للحذر والتستر ولتوسيع دائرة الدعوة عند وصول الداعيتين الى مرماجنة، افترقا فاستقر أبو سفيان في مدينة تالة التونسية وبدأ يمارس حياته في بناء مسجد له وتزوج امرأة مغربية مع شراء عبد وامة ليكونا عينا له وليزوداه بالاخبار ولمساعدته وزوجته في امور الحياة .

اما الحلواني فتوغل في ارض البربر فسار الى (سو جمار) ونزل موضعا يقال له الناظور وعمل مثلما عمل صاحبه ابو سفيان، فازدادت شهرته وحسن ذكره فاقبلت عليه قبائل كتامة ونفزة وسماتة فدخلت في دعوته، فانتشرت الدعوة الاسماعيلية على يد هذين الداعيتين .

اما اثر ابي عبد الله الشيعي في ارساء دعائم الدولة الفاطمية:

اجمع المؤرخون على قوة شخصية ابي عبد الله الذي كان يجمع بين الذكاء والفطنة ممزوجة بالدهاء والمكر مع المامه بعلم الظاهر والباطن فقد اعجب به الامام الحسين والد المهدي المقيم في سلمية(السورية) مركز الدعوة الاسماعيلية وقرر ان يرسله الى المغرب لتكملة ما بدأه ابو سفيان والحلواني في نشر الدعوة الاسماعيلية وقبل اراسله الى المغرب ارسله الى اليمن سنة ٢٧٧ هـ /٨٩٠م ليتتلمذ على يد داعية اليمن ابن حوشب (صاحب الدعوة الاسماعيلية باليمن بعدما كاتبة الامام الحسين يوصيه) ، فبقي ابو عبد الله الشيعي في اليمن لمدة سنة كاملة يتعلم منه اصول الدعوة حتى صار بارعا في ذلك.

خرج ابو عبد الله الشيعي من اليمن سنة ٢٧٨ هـ /٨٩١م متوجها إلى الحجاز لاداء فريضة الحج مع حجيج اليمن وبعد الانتهاء من مناسك الحج بدأ الرجل يبحث عن حجيج المغاربة وبالذات حجيج قبيلة كتامة فارشد اليهم، فبدأت عين الرجل الفاحصة تدرس اولئك الناس فعرف فيهم سماحة وكرما واخلاصا للدين ورغبة في رفعته وتمجيدا للائمة من اهل بيت النبوة ، فتقرب اليهم الشيعي وتكلم معهم فانصت حجيج كتامة فتقربوا منه وزادوا في احترامه وتقديره.

يتضح مما تقدم ان ابا عبد الله الشيعي سحر حجيج كتامة بقوة شخصيته وفصاحته وقوة بيانه، وغزارة علمه فزادهم اقبالا عليه، يتضح مما تقدم ان اختيار ابي عبد الله الشيعي لهذه المهمة والتدريب الذي تلقاه على يد ابن حوشب قد اثمر وها هو الشيعي يحصد الحصاد الذي زرعه بانه حاز على ثقة ومحبة الكتاميين وغيرهم

من البربر الذين اعتبروه كنزا وتهافت عليه الجميع لحيازة هذا الشرف العظيم فان لقوة شخصيته وما اوتي من حسن البلاغة والبيان اثر كبيرا جدا في مستقبل الدعوة الاسماعيلية .

اما بالنسبة لتنظيم ابي عبد الله الشيعي لمجتمع كتامة :

فكانت اول خطوة له في مجتمع كتامة هو اتخاذه من فج الاخيار دار هجرة اذ غدت مركزا لنشر دعوته متخذا من الدين ركيزة اساسية يعتمد عليه في تنظيم عمله ويذكر النعمان ان من الصفات الواجب توفرها في الداعي هي الصمت وخفض الجناح ولين الجانب وحسن العشرة وجميل المخالطة من غير تجبر ولا تكبر وان يكون التواضع سيماه والوقار همته والذكر هداه.

وضمن اجراءاته في المجتمع الكتامي انه قسم مجتمع كتامة الى اسباع وجعل على كل سبع فيها عسكرا وقدم عليهم مقدما واطلق لكل موضع داعية وسمى المقدمين والدعاة بالمشايع.

كما انه وتأسيا بسيرة المصطفى (ص) قام باستخدام سياسة عزل المسيء وعدم التعامل معه ولا حتى من أقرب المقربين اليه كي يعي ويعود الى رشده فضلا عن انه كان لا يتورع عن ضرب المقصرين في اداء الفرائض واثابة المحسن ويرفع قدره عند الداعي وعشيرته فتطبع المجتمع الكتامي بهذه الصفات خوفا ورغبة وتقية ورهبة اذ ان تطبيق هذه السياسة قد أتت ثمارها فقد استقام وصلح حال المجتمع الكتامي وزال الحسد والتباغض بين الناس وحلت بينهم روح المساعدة والمحبة وحل الامن والاستقرار واصبح التخاطب بين الناس بكلمة (اخانا) وتسمى اصحاب الشيعي (المؤمنون) لذا فان دعوة الشيعي قد

نجحت ودخل في دعوته رجال من البربر كان لهم وزنهم كامثال هارون بن يوسف بن موسى وغيره.

التحركات العسكرية لابي عبد الله الشيعي :

تمثلت الخطوة الثالثة بعد الاندماج في مجتمع كتامة وتنظيمه والتي بدأ بتنفيذ خيوطها هي التحركات العسكرية نحو المدن والمناطق في بلاد المغرب ومن ثم الاجهاز على هذه الدول والامارات التي كانت تسيطر على بلاد المغرب وهم الاغالبة الذين اتخذوا من رقادة (احدى مدن افريقيا) حاضرة لهم لفترة قصيرة ، ويذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن ان الفترة من سنة (٢٨٨- ٢٩٦ هـ) كانت فترة جهاد مستمر للشيعي سلك فيها سياسة الحزم والعزم.

بدأت تحركاته السكرية نحو مدينة ميلة الجزائرية فقد حشد قبيلة كتامة واعدها للزحف على

المدينة ويذكر ابن عذاري انه جرت العادة في هذه المعارك ان يستنفر الشيعي افخاذ قبيلة كتامة بالكتابة إلى رؤوسائها فكان لا يزيد في الكتابة سوى تحديد الموعد ويقول لهم حرام على من تخلف فكانت تاتيه القبيلة بكل افخاذها فاستطاع الشيعي ان يدخل هذه المدينة وكذلك على مدينة تازروت

اما اوضاع الاغالبة فاضطربت بعدما تولى ابو مضر زيادة الله بن الاغلب اخر امراء الاغالبة المنصب في سنة ٢٩٠ هـ/٩٠٢ م اذ اجمع المؤرخون على انشغاله باللهو واللعب، وعلى احاطته بمجموعة من الوزراء المتشيعين والذين كانوا من جملة الاسباب التي ادت إلى انتهاء الامارة الاغلبية.

هذه الظروف ساعدت ابا عبد الله على التقدم واحراز النصر تلو النصر والاجهاز على المدن الواحدة بعد الاخرى وقد استطاع ابو عبد الله الشيعي ان يقضي على الامارة الاغلبية واعلن قيام الدولة الفاطمية مكانها فقد رفع شعاراتها وطبق مذهبها ووضع الاسس الاولى لادارتها في مختلف المجالات فضرب السكة، ودون الدواوين وعين الولاة والقضاة فقد ولى على القيروان الحسن بن احمد بن ابي خنزيرة اما قضاؤها فقد اوكل الى محمد بن عمر المروزي كل ذلك وامامة المهدي لا يزال معتقلا في سجلماسة.